ان هذا الحلم ما زال مشروعاً، ويحاول قادة الشعوب العربية ايجاد صياغة واقعية لترجمته عملياً، قد يكون آخر اشكالها اقامة اتحادات اقتصادية محكومة بالتقارب الجغرافي، مثل: مجلس التعاون الخليجي، والاتحاد المغاربي، ومجلس التعاون العربي.

ولم تكن فلسطين خارج الافق القومي العروبي، بل ظل شعار «الوحدة العربية طريق لتحرير فلسطين»، لفترة طويلة، شعاراً ـ مطلباً رسمياً وجماهيرياً، ولم يقلل ترسيخ البنى والاوضاع القطرية من مشاعر الاخاء العربي والتضامن مع الشعب الفلسطيني؛ بمعنى ان الطموح القومي العربي في اقامة دولة واحدة، وفلسطين ضمنها، لا يزال طموحاً مشروعاً لأمّة تعتبر ان تجزئتها انما تمّت قسراً عن ارادة شعوبها، وبفعل عوامل خارجية. لكن واقع التجزئة بدأ يكتسب، بفعل الزمن والتطوّرات الاقتصادية ـ الاجتماعية داخل كل قطر، سمة تجعل من الطموح القومي، آنف الذكر، وكأنه خارج سياق التاريخ، على الاقل وفق الآفاق التي كان ينظر اليه من خلالها في الخمسينات وأوائل الستينات من القرن العشرين. وقد يكون للتطور العالمي نحو أبعاد فوق ـ قومية أثر في تخفيف حدة الطموح القومي العربي ودفعه نحو الاتجاه الجديد، حيث لن يكون العامل القومي ـ كما يبدو ـ عنصراً في معادلات الصراع المستقبلية التي قد يشهدها العالم؛ وقد يكون لتعميم النموذج الاميركي، على الصعيد العالمي، الدور الأبرز في تقليص أثر العنصر القومي ـ العرقي، حيث ان الولايات المتحدة الاميركية خليط من كل قوميات الكون تتعايش وتتعاون وتبدع من غير تناحر، مع ان بعض بلدان تلك القوميات يتحارب.

من جهتها، اعتبرت الحركة الصهيونية نفسها «حركة تحرر وطني يهودية» في فلسطين، وسمّت الاعلان عن اقامة «دولة اسرائيل» اعلان «الاستقلال»؛ كما حملت حرب العام ١٩٤٨ اسم «حرب الاستقلال»؛ ووصفت اتجاهات سياسية اسرائيلية حرب العام ١٩٦٧ بأنها «حرب تحرير» (حيروت)، وانها استكمال لحرب «الاستقلال»؛ بل ان بعض الاتجاهات اليمينية الاسرائيلية رأى ان جغرافيا اسرائيل تشمل ضفتي نهر الاردن، ويعتبر ان تقسيم فلسطين حدث في العام ١٩٢٢؛ ولذا يستطيع الفلسطينيون اقامة دولتهم في الجزء الشرقي من نهر الاردن، أي في المملكة الاردنية الهاشمية؛ كما ان الاتجاهات الدينية الاسرائيلية رأت ان «أرض ـ اسرائيل» تشمل جميع الاراضي التي تجوّل فيها ابراهام، أبو الاسرائيليين، وتحدّد تلك الجغرافيا فيما بين نهري الفرات، في شمال سوريا، والنيل (مصر)، وهي ما تدعى بـ «اسرائيل التوراتية»، والعلم الاسرائيلي بخطيه الأزرقين يرمز الى هذه الخارطة؛ وليس ضمّ الجولان، في العام ١٩٨١، الاّ تعبيراً عن طموحات «قومية» صهيونية لها سقوف متعددة يمكن الاشارة الى تدرجها على النحو التالي: دولة في حدود ما قبل الخامس من حزيران (يونيو) ١٩٦٧؛ دولة على أرض فلسطين المعروفة تحت الانتداب البريطاني؛ دولة اسرائيل في «أرض ـ اسرائيل التاريخية» (ضفتا الاردن)؛ دولة في «أرض ـ اسرائيل التوراتية». هذه السقوف «القومية»، اذا قبلنا منطوق قرار التقسيم الدولي الصادر في العام ١٩٤٧ تتصادم عدائياً مع كافة الدول العربية المتاخمة لاسرائيل، عدا عن انها، أساساً، توجه لالغاء وجود الآخر، حيث لا يمكن لمثل هذه الطموحات ان تتحقق دون مثل هذا الالغاء؛ وتجربة تهجير الفلسطينيين، في العام ١٩٤٨، لخير شاهد على سلوك النموذج الاسرائيلي تحت تأثير طموحه «القومي».

الشعب الفلسطيني وقع لفترة طويلة أسير الحلم ـ الوهم القومي العربي، بل كان من بين زعامته روّاد في صياغة التفكير العروبي ودعاة سياسيين لترجمته عملياً، وربط مصيره بمصير أشقائه العرب. ولذا، عندما هاجر الفلسطينيون، في العام ١٩٤٨، من فلسطين انتقلوا داخل وطنهم حسب